العدد (1703) السنة السابعة - الأربعاء (20) كانون الثاني 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـــواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

(الفتنـــة الطائفية) .. من الخانكة والكشـــح إلى جريمـــة (نجع حمادي)

كانت الساعة توشك أن تعلن انتصاف ليلة الأربعاء السابع من يناير حيث يحتفل أقباط مصر بعيد الميلاد المجيد، والهدوء يخيم علي مدينة (نجع حمادي) بسكانها الذين يبلغ عددهم ٣٠٠ ألف نسمة، التي اشتهرت منذ تأسيسها بزراعة وصناعة قصب السكر، ورغم بناء صرح صناعي كبير علي بعد أربعة كيلومترات من (نجع حمادي) هو (مجمع الألمونيوم)، فمازالت المدينة وسكانها تعاني من الفقر والطابع الزراعي القبلي.

حادثة باب الكنيسة في نجع حمادي

حسين عبد الرازق

في هذه اللحظات تحركت سيارة ملاكي بداخلها ثلاثة أشخاص وربما أكثر، أحدهم يمسك ببندقية آلية روسية الصنع، تحركت من شارع المحطة في الطريق إلي شارع (حسني مبارك) حيث تتجاور كنيستا (ماريوحنا) و(العـذراء مـريم) ومقر مطرانية نجع حمادي، وفي الثانية عشرة تماما – وهي اللحظة التي يفترض خروج المصلين فيها – انطلقت الطلقات بسرعة ليسقط ٦ من المصريين الأقباط وجندي الحراسة المسلم قتلى، ويصاب تسعة آخرون، ولولا أن الأنبا كيرلس أسقف نجع حمادي قد بدأ الصلاة مبكرا وأنهاها في العاشرة والنصف مساء لتضاعف عدد الشهداء والجرحى.

وشهدت المدينة يومي الخميس والجمعة اشتباكات وعمليات تخريب للمحال والمنازل متبادلة بين المسلمين والأقـبـاط، ورفـع المسيحيون رايات سوداء علي بيوتهم حـدادا، ولم تتوقف أعمال العنف إلا بعد نـزول قوات الشرطة إلي شوارع المدينة وفرض حظر للتجول، وألقي القبض بعد الحـادث بـ ٤٨ ساعة علي المتهمين الثلاثة الذين كانـوا في السيارة، وهـم (هـنداوي محمد سيد حسن) و(محمد أحمد حسنين الكموني) و(قرشي الحاج محمد علي)، وأمرت النيابة بحبسهم علي ذمة التحقيق ١٥ يوما.

وطـيـرت وكـالات الأنـبـاء أخـبـار هـذه الجريمة متحـدثة عـن التمييز ضد الأقـبـاط في مصر واضطهادهم، وأعرب الفاتيكان عن تضامنه مع أقباط مصر، وبعث رئيس المجلس البابوي لوحدة المسيحيين الكاردينال فالتر كاسبر برسالة إلي بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية البابا شنودة الثالث قال فيها إن (علي جميع المسيحيين أن يبقوا متحدين في وجه الظلم، وأن يسعوا معا إلي السلام الذي يبقي المسيح الوحيد الذي يمكن أن يعطينا إياه)، وأدان (فرانكو فراتيني) وزير الخـارجـية الإيـطـالي الحـادث قـائـلا: (إن أعمال العنف التي ارتكبت ضد الطائفة المسيحية القبطية في مصر تثير الرعب والاستنكار.. ولا يمكن للمجتمع الـدولي أن يظل غير مبال، ولا ينبغي أبدا أن يستكين في مواجهة التعصب الديني الذي يشكل انتهاكا خطيرا لحقوق الإنسان الأساسية).

وأرسـلـت منظمة (الاتحـاد المـصـري لحقوق الإنسان) مذكرتين لكل من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي للمطالبة بإجراء تحقيق دولي في مسألة الاعتداءات علي الأقباط، وإرسال لجنة تقصي حقائق دولية بشكل عاجل!.

وفسرت الشرطة المصرية الحـادث بأنه عملية ثأر، وعلي أساس وجود قرابة بين المتهمين وفتاة مسلمة اغتصبها شاب مسيحي منذ أكثر من شهر في فرشوط.

وأيا كانت التفسيرات وما ستنتهي إليه تحقيقات النيابة، فلا يمكن اعتبار ما حدث في نجع حمادي حادثا فرديا معزولا عن أحـداث سابقة تشكل ظاهرة خطيرة عنوانها (الفتنة الطائفية) وعلي الأصح (الفتنة الوطنية).

لقد شهدت مصر منذ مطلع السبعينيات سلسلة من التفجيرات الطائفية بين مسلمين ومسيحيين بلغت أكثر من ١٠٠ حادثة طائفية، أولاها حادثة الخانكة عام ١٩٧٢ ثم دمنهور وأحداث أخرى أعوام ١٩٧٥ و١٩٧٦ و١٩٧٧، مما اضطر الرئيس الراحل أنور السادات للاعتراف بوجود أزمـة طائفية عقب إحـراق إحـدي الكنائس بقرية بمحافظة الفيوم، والتوتر بين السادات والكنيسة القبطية وإصداره قرارا بعزل البابا شنودة وتحديد إقامته (!) في مذبحـة سبتمبر ١٩٨١ بعد أحـداث الفتنة في الزاوية الحمراء وانفجار العنف الطائفي بين المسلمين والأقباط خلال التسعينيات (حيث انتهج بعض المتطرفين الإسلاميين مبدأ العنف بالتعدي المباشر علي دور العبادة المسيحية واقتحام بعض الكنائس وقتل الأقباط أثناء صلواتهم، في وقت أطلقت فيه الجماعة الإسلامية المتطرفة مبدأ استحلال محلات الذهب المملوكة للأقباط والتعدي علي الكنائس والأقباط في محافظات مختلفة)، وبلغت الفتنة قمتها اعتبارا من ١٤ – ١٥ أغسطس ١٩٩٨ في قرية الكشح بمحافظة سوهاج والتي يبلغ عدد سكانها ٤٠ ألف نسمة ٧٠٪ منهم أقباطا (٣٠ ألف نسمة).

في مساء الجمعة ١٤ أغسطس ١٩٩٨ عثر الأهالي علي جثة شابين من أبـنـاء القرية الأقـبـاط هما سمير عويضة (٢٥ سنة) وكرم تامر (٢٧ سنة)، وكـانـت ظـروف وملابسات مقتلهما تشير إلي أنها جريمة قتل عادية تحدث العشرات منها في مدن وقرى ونـجـوع مصر، ولكن ضباط وجنود شرطة مركز دار السلام الـذي تتبعه القرية كان لهم وجهة نظر أخـرى، قـرروا أن القاتل لابـد أن يكون قبطيا تجنبا لـحـدوث فتنة لو كـان القاتل مسلما، وانطلاقا من هذا القرار مارسوا اعتبارا من يوم ٥ أغسطس (العقاب الجماعي) ضد أهالي قرية الكشح خاصة الأقباط، فاحتجزوا عشوائيا مئات المواطنين من بينهم أسر كاملة رجالها ونساؤها وأطفالها وشيوخها ومارسوا الترويع للسكان واحتجاز الرهائن وممارسة التعذيب ضد المحتجزين لإجبارهم علي الإدلاء بالاعترافات والمعلومات حول مرتكبي الحادث، ووثقت المنظمة المصرية أشكال وأساليب التعذيب التي تعرض لها أهالي الكشح، من (التعليق لساعات طويلة في الهواء، والتقييد في أوضاع معقدة وشاذة (كخروف مشوي) بما يضاعف الألم، والتنطيط علي الأجساد الملقاة علي الأرض بقسوة دفعت البعض للتبرز والتبول الـلاإرادي، والضرب باليد والقدم ووسائل أخري، والصعق بالكهرباء في أجـزاء مختلفة من الجسم بما فيها الأعضاء التناسلية، وشمل التعذيب الاخير أطفالا وبناتا بعضهن أمام إخوتهن)، وتكررت أحداث الفتنة الطائفية في الكشح عام ١٩٩٩ – ٢٠٠٠ عندما اتهم الأقباط بتحويل مضيفة في القرية إلي مكان للصلاة لعدم وجود كنيسة بالقرية، أي تحويلها إلي كنيسة بدون الحصول علي ترخيص، وقام بعض المسلمين المتطرفين بحرق المضيفة ومقتل ٢٠ قبطيا ومسلم واحد.

وشهدت محافظة المنيا في نفس الفترة عنفا طائفيا في قرى (منقطيني) و(بني واللمس) و(مغاغة) و(سمالوط) ووقعت أحداث طائفية أخرى في البحر الأحمر بسبب وقـوع سور أحـد الأديـرة وشروع الكنيسة في إعادة بنائه (دون الرجوع للجهات الأمنية)، ثم أحداث صحيفة النبأ وراهب دير المحرق، وقضية إسلام (وفـاء قسطنطين) زوجـة أحد الرهبان في أبوالمطامير واختفائها ودور الأمـن في تلـك الـواقـعـة وتـظـاهـر آلاف المسيحيين في القاهرة إثر ذلك، وحـوادث خطف واختفاء فتيات مسيحيات وظهورهن بعد الإعلان عن اعتناقهن الإسلام مثل الفتاتين (مـاري أسعد جرجس) و(مرسيل صموييل قديس) البالغتين من العمر ١٥ عاما في نجع حمادي، و(نيرمين ناشد مسعد أندراوس) ١٨ عاما بالمحلة الكبرى والتي أشهرت إسلامها وتزوجت كوافير مسلما وتظاهر ٢٥٠ مسيحيا بكنيسة الأنبا أنطونيوس احتجاجا، واحتشاد الأقـبـاط أمـام مبنى ديـوان محافظة أسيوط احتجاجا علي اختطاف واختفاء (بوسي ظريف بستان عبدالله)، واقتحام أربعة أشخاص لكنيسة مار جرجس في مركز أبوقرقاص ومقتل ١٢ مصليا بالكنيسة وجـرح خمسة آخـرين، ثم حادثة قرية العديسات في الأقصر في يناير ٢٠٠٦ بسبب تحويل مضيفة يملكها مسيحي إلي كنيسة وقرار عدد من المسلمين منع الأقباط من فتح هذه الكنيسة وقيامهم بإحراقها وإصابة ١٤ شخصا في اشتباك بين الطرفين، وتـوفي لاحقا (كمال شاكر مجلع) الذي كان ضمن المصابين.. وصولا إلي الفتنة الطائفية التي انفجرت في الإسكندرية عقب ما قيل عن تمثيل مسرحية في كنيسة مار جرجس بمحرم بك تسيء لسيدنا محمد والإسلام وتسجيلها علي شريط ممغنط (C.D) وتظاهر ١٥ ألـف مسلم يـوم الجمعة ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥ ومحاولتهم اقتحام كنيسة مار جرجس بعد صلاة الجمعة ثم في الثامنة مساء وتصدي الشرطة لهم وسقوط ثلاثة قتلى وإصابة ١٤٣ واعتقال ١٥٠ من المتظاهرين.

ونشر الزميل حلمي نمنم في المصري اليوم ٣ وقـائـع خـلال عـام ٢٠٠٦ تصب في خـانـة الفتنة الطائفية، أولاهـا رفـض أصـحـاب ثـلاث مطابع خاصة طبع ملزمة صور ملونة خاصة بهروب العائلة المقدسة إلي مصر ضمن كتاب ترجمه د. قاسم عبده قاسم أستاذ تاريخ العصور الوسطى حول (رحلة العائلة المقدسة إلي مصر)، وتحجج مسؤلو المطابع الثلاث بأن طباعة هذه الصور (حرام) وقـال أحـدهـم (لا أطبع ثلاثة أشياء، ما يتعلق بالبيرة والخمور والسجائر ثم ما يتعلق بالمسيحيين)، الثانية رفض البورصة (سوق المال) شراء مواطن مسيحي لأسهم بنك فيصل الإسلامي المطروحة في البـورصـة المصرية، حيث يمنع البنك تملك غير المسلمين لأسهمه والثالثة نشر كتاب يحمل عنوان (أخطاء نصرانية عن محمد والمسيح) ويتضمن الكتاب – طبقا لحلمي نمنم – عبارات تدخل في باب السب المباشر للمسيحية علي إطلاقها والكنيسة بمجملها.

وفي يوليو ٢٠٠٦ أعلنت وزارة الداخلية عن ضبط (تنظيم إسلامي متطرف معاد للأقباط يتزعمه أستاذ التفسير في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر د. عبدالله بدر ومعه سبعة آخرون).

وفي أغسطس تظاهر عدد من المسيحيين المصريين الكاثوليك أمـام الكنيسة الإنجيلية في اليوم احتجاجا علي هـروب فتاة مسيحية كاثولوكية مع شاب مسلم وهتفوا ضد أجهزة الأمن متهمين إياها بالتواطؤ لعدم إحضار الفتاة المسيحية الهاربة وتسليمها لأهلها، وكـان تظاهرهم أمام الكنيسة الإنجيلية بعد رفض راعـي الكنيسة الكاثوليكية تظاهرهم أمام كنيسته وإثارة المشاكل مع المسلمين، مؤكدا أن الفتاة أحبت الشاب المسلم (وهذا أمر شخصي يخص الفتاة والشاب ولا علاقة لها بمجموع المسلمين ومجموع المسيحيين).

وفي يـوم الجمعة ١١ مايو ٢٠٠٧ شهدت قرية (بمها) التابعة للأقباط بمحافظة الجيزة أحداثا طائفية، وبـدأت الأحـداث عقب تـوزيع منشور (مجهول المصدر) علي المصلين يحرضهم على التحرك لمنع الأقباط من بناء كنيسة في منزل (مجدي حنا) والذين كانوا يترددون عليه لقضاء مصالحهم، وخـرج مئات من الشبان المسلمين المتعصبين من صلاة الجمعة وهم في حالة احتقان وهـيـاج يحملون العصي والأسلحة البيضاء و(جراكن) الكيروسين، وهاجموا منزل (مجدي حنا) ومـنـازل الأقـبـاط عـامـة (٣٠٠٠ مصري) ودمروا عشرة منازل ومغلقين للخشب وأحرقوا أكثر من ٢٥ منزلا ومحلا، وأصابوا ١١ من الأقباط المصريين بجروح وإصابات مختلفة. والقائمة مازالت طويلة ومفتوحة لأحداث طائفية أخرى.

وهناك اتفاق بين الباحثين والدارسين على أن هناك أسبابا عدة لهذه الفتنة الوطنية.

فمصر دولة شبه دينية، فالمادة الثانية من الدستور الصادر عام ١٩٧١ والمعدل عام ١٩٨٠ تنص في مادته الثانية علي أن (الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرسمي للتشريع)، وهو نص يميز ضد غير المسلمين من المصريين سواء كانوا أقباطا أو يهودا أو بهائيين ، ويجعل من مبادئ الشريعة الإسلامية مرجعية إلزامية لجميع التشريعات، دون تحديد واضح ودقيق لمبادئ هذه الشريعة، ويعطي حجة للجماعات والأحـزاب التي تخلط بين الدين والسياسة وتفرض رؤيتها السياسية بمقولة التزامها بصحيح الدين، بل إن الحكم لجأ للحصول علي فتوى دينية لتمرير مشروع قانون يمكنه من طرد المستأجرين للأرض الزراعية.

وشهدت مصر منذ الحقبة الساداتية اختلاط الأوراق، والتوسع العشوائي لأنشطة ونفوذ المؤسسات الدينية وقادتها، فصاروا يفتون في كل شيء.. في الاقتصاد وقوانين الضرائب ونظم البنوك، وفي الفنون والثقافة والسياسة، وفي قضية فلسطين والعراق وأمريكا والإمبريالية، صاروا المرجع في كل الأمـور، وتـواري العلماء والخبراء إلي الدرجة الثانية في أحسن الأحوال، أو التجاهل التام في أسوئها، والنتيجة هي الفشل في كل نواحي حياتنا).

وسيطر علي تفكير المسلمين (الخطاب الديني غير الرسمي والذي تقابله يوميا في شكل أشرطة مسجلة تذاع في سيارات الأجرة، وكتب تباع علي الأرصفة، أو في بعض الزوايا التي يتجه إليها الناس لصلاتهم، وأخـيـرا من خلال الفضائيات، ويـحـض هـذا الـخـطـاب الـديـنـي عـلـي الكراهية ويستنفر الناس ويجعلهم لا يقبلون هذا الشريك الوطني الآخر، وهو المصري المسيح).

ولعب صعود تيار الإخوان المسلمين وممارستهم سببا آخر في إثـارة الفتنة الطائفية، فالإخوان طرحوا في مبادرة المرشد العام (مارس ٢٠٠٤) ثم في برنامج الحزب (٢٠٠٧)، أن هدفهم إقامة الدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية، أي إقامة دولة دينية، وهو الأمر الذي أثار فزع الأقباط، ودفع مفكر مصري قبطي بـارز (د. ميلاد حنا) للقول (أرفض أن تتحول مصر لدولة دينية، ففي هذا النموذج سيصبح الأقباط من أهل الذمة وستكون مواطنتهم منقوصة)، ولم يتراجع الإخـوان عن الفتوى التي أصدرها محمد عبدالله الخطيب (عضـو مكتب الإرشـاد) عـام ١٩٨٠ ونشرتها مجلة الدعوة والتي تنص علي أن (البلاد التي فتحها المسلمون عنوة، تهدم فيها الكنائس (مثل الإسكندرية) والبلاد التي استحدثها المسلمون مثل العاشر من رمضان والمدن الجديدة عموما لا يجوز بناء كنائس فيها علي الإطـلاق)، وبعد استيلاء الإخـوان المسلمين علي مجلس نقابة الأطبـاء، غـيـروا قسم الأطبـاء عند انضمامهم للنقابة والمستقر منذ قيام النقابة ليصبح قسما ذا طابع إسلامي، وخصصوا أموال النقابة للإنفاق علي أنشطة إخوانية بحتة (إسلامية) في مصر وخارجها (تحقيقا للأممية الإسلامية).

وهناك تمييز ضد أقباط مصر سواء علي المستوى القانوني (بناء دور العبادة مثلا) أو على المستوى الواقعي في تـولي الوظائف العامة علي سبيل المثال. فلا يوجد حاليا في مصر قبطي واحد يحتل موقعا رئيسيا في القوات المسلحة أو الشرطة، أو محافظا في المحافظات الثماني والعشرين (قبل تعيين محافظ قبطي اخـيـرا في قنا)، ولا يوجد أقباط في المخابرات العامة أو مباحث أمن الدولة التي يوجد بها مكتب لمكافحة (التنصير)، وهناك اكثر من عشرين جامعة حكومية لا يرأس ايا منها أكاديمي قبطي واحد، بل يمتد هذا التمييز إلي عمداء كليات هذه الجامعات وعددها ٣٨٩ كلية. ومديرو المناطق التعليمية في جميع محافظات مصر المعينون من قبل الوزارة ليس بينهم قبطي واحد. ولا يسمح بقبول الأقباط في كليات جامعة الازهر غير الدينية (الطب– الهندسة– الصيدلة– طب الاسنان– الترجمة)، بينما تفتح كلياتها لطلاب (مسلمين) غير مصريين من ٩٠ دولـة وجنسية أجنبية. بينما تقبل المدارس القبطية المنتشرة في كل مصر طلابا أقباطا ومسلمين دون تفرقة.

وتتجاهل مناهج التاريخ في المدارس المصرية (الحقبة القبطية) في التاريخ المصري والتي ما يقرب من٧٠٠ عام (من عام ٧٠ ميلادية إلي عام ٦٤١ ميلادية).

وفي انتخابات مجلس الشعب الأخيرة لم يرشح الحزب الوطني الحاكم ضمن مرشحيه الـ ٤٤٤ إلا مرشحا مسيحيا واحدا وهو وزير المالية د. يوسف بطرس غالي. ولم ينجح اي مرشح قبطي مستقل أو منتمي لاحزاب المعارضة.

وتضـع الـدولـة قـيـودا علـي الـترخـيـص ببناء الكنائس، وترميمها، مما يسبب لجوء الاقباط إلي بناء واصلاح كنائسهم (خلسة) أو دون ترخيص يصعب الحصول عليه، ويتصدى مسلمون لهم بالقوة غالبا لمنع بناء واصلاح الكنائس!

وهناك اختراق لعناصر اصولية متطرفة لأجهزة الاعـلام الرسمية تتعامل مع الاقباط باعتبارهم (كفارا)

ويساعد (انعزال الاقباط داخل الكنيسة واحجامهم عن المشاركة في الحياة الوطنية العامة، ونظر الدولة إلي قادة الكنيسة والازهر– القادة الدينيين– باعتبارهم الممثلين السياسيين لاتباع هذه الديانة.. يساعد على شق الوطن شقا يستحيل مع استمرار هذه الممارسات اصلاحه.

وإدراك الأسباب التي أدت إلي بروز ظاهرة (الفتنة الطائفية) يفتح الباب أمام الحلول المطلوبة، والتي يمكن تلخيصها فميا يلي:

فصل الدين عن الدولـة ، وتعديل المادة الثانية لتنص علي أن (الإسلام دين غالبية سكان الدولة، ومبـادئ الشـرائـع السماوية مصـدر رئيسي للتشريع، وتنهض الـدولـة– علي رعـايـة القيم العليا للأديان)، وإلغاء خانة الديانة من البطاقات والأوراق والطلبات الرسمية.

اصـدار قـانـون مـوحـد لـقـواعـد بـنـاء المساجد والكنائس

مراجعة مناهج التعليم لتخليصها من كل ما يصب في خانة التعصب، وتدريس الحقبة القبطية في التاريخ المصري، وجعل حصة الدين في المدارس حصة واحدة مشتركة للمسلمين والأقباط تدرس فيها القيم العليا للاديان السماوية.

عـدم التفرقة بـين المسلمين والاقبـاط في تولي الوظائف العامة تنفيذية كانت أو تشريعية.

تغيير لهجة ومفردات وتوجهات الخطاب الديني في أجـهـزة الاعـلام الرسمية والكف عن اعتبار الاقباط أهل ذمة وكفارا.

وقبل هـذا كله تحـول مصر من دولـة بوليسية استبدادية الي دولة ديمقراطية يمكن فيها تداول السلطة عبر انـتـخـابـات حـرة ونـزيـهـة وتـحـتـرم فيها الحريات العامة وشروط المواطنة وحقوق الانـسـان، باخـتـصـار تـحـقـيـق تـغـيـيـر دسـتـوري وسياسي ديمقراطي.

أصـــوات الحـــريـــة

فريدة النقاش

تضاعف عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي في ثلاث سنوات، ويـتـزايـد كل يـوم عـدد المتعاملين مـع (الـفـيـس بـوك) والـتـويـتـر و(الـيـوتـيـوب) والمـدونـيـن الذين يتعاملون معها أو ينشئون مواقع خـاصـة بـهـم. وتـهـب مـع كـل هـذا التقدم رياح الحرية التي تحاصرها النظم التسلطية الاستبدادية من كل الجـهـات، وهـي تمـارس كل أشكال القمع ضد هـؤلاء النشطاء إذ تقوم بـحـجـب المـواقـع وحـبـس المدونين وصـولا لتعذيب بعضهم واستخدام التـقـدم الـتـكـنـولـوجـي لمراقبتهم والتصنت عليهم.

وطبقا للشبكة العـربـيـة لمعلومات حقوق الإنسان فإن العالم العربي هو من أسوأ مناطق العالم ممارسة للـرقـابـة عـلـى الإنـتـرنـت واعتقال المدونين، وتأتي مصر والسعودية وتونس وسوريا في قلب قائمة ١٢ دولة هي أعداء الإنترنت التي أعدتها منظمة (مراسلون بلا حدود) بينما أشار تقرير الشبكة العربية إلى أن المدونين المصريين هم الأكثر تحديا لمصـادرة الحـريـات السياسية في بلادهم بالرغم من حملات الملاحقة والقمع، لأنهم وجـدوا في الشبكة مـلاذا من عمليات التضييق التي تتفنن السلطات الفاسدة في فرضها عليهم.

ولجأ المثقفون والكتاب والمفكرون الذين يتعرضون للحصار والمصادرة والتهديد بالقتل وبالقتل الفعلي في كل أنحاء الوطن العربي لاستخدام الشبكة الدولية للتضامن فيما بينهم، ولنصرة بعضهم البعض في وجه الملاحـقـات الحـكـومـيـة وملاحقات المطوعين والمتطوعين من شيوخ التكفير.

ومؤخرا أطلق مجموعة من الكتاب السـعـوديـين والـعـرب عـلـي موقع (الحـوار المتمدن) حملة للتضامن مـع الـروائـيـيـن الـسـعـوديـيـن غـازي القصيبي، وتـركـي الحـمـد، وعبده خال ورجاء عالم إذ يتعرض هؤلاء وغيرهم لحملة تشهير وتحريض ممن يسمون أنفسهم رجـال الدين، وذلـك بعد أن قـررت وزارة التعليم الـعـالـي الـسـعـوديـة اخـتـيـار بعض روايات هؤلاء الكتاب لترجمتها إلى عدد من اللغات الأوربـيـة ووصف الشيوخ التكفيريون هؤلاء الكتاب بأنهم أعداء المملكة، وأنهم فاسدو الفكر ومحبون للرذيلة ونشر الفساد وهـو مـا يعني أن الكتاب متهمون في وطنيتهم وأخلاقهم ودينهم مما يشوه صورهم في نظر مواطنيهم ويؤدي لعزلتهم.

والجـديـد في هـذه القضية هـو أن الـدولـة المحافظة شبه الدينية في السعودية تجد نفسها وجها لوجه أمام حصاد ما زرعته أجهزة إعلامها ومؤسساتها الدينية والتعليمية التي حاربت الفكر المستنير علي امتداد السنين منذ نشأة هذه الدولة نفسها في الـقـرن المـاضـي معتمدة الفكر الـوهـابـي المغلق المـعـادي للحداثة مرتكزا أيديولوجيا لها، وحاربت من هذا المنطلق الأيديولوجي كل فلسفات الحداثة والديمقراطية والعلمانية وفصل الدين عن الدولـة من أجل دولة مدنية لكل مواطنيها ومن هذا المنطلق الأيديولوجي نفسه عزلت مواطنيها المختلفين حتي لـو كان اختلافهم في إطار الدين الواحد شأن الشيعة الذين وصفوهم بالرافضة، فما بالنا بأصحاب الديانات الأخرى.

وجـرى على هـذا الأسـاس تعميق الانقسام الاجتماعي على أساس طائفي وعقيدي بديلا عن الانقسام بـين الطبقات الـذي ارتـبـط بنشوء الـرأسـمـالـيـة وتـحـــددت ملامحه كانقسام علي أسـاس موضوعي بين المنتجين وملاك الثـروات الذين يستغلون فائض عمل هؤلاء المنتجين ويتاجرون بعرقهم.

وعلي هـذا الأسـاس نفسه حظرت الدولة– التي وضعت نفسها خارج الحداثة– كل أشكال تنظيم الكادحين لأنـفـسـهـم مـن نـقـابـات وأحـــزاب وجمعيات وروابـط، إذ إن وظيفة هذه الأشكال من التنظيم لا ترتبط فحسب بدفاع هؤلاء عن مصالحهم بشكل جماعي، وإنما ترتبط ايضا بنشر الأفكار الجديدة وترويجها وإثارة الجدل المجتمعي حولها ومع التقدم العلمي والانتصارات اليومية لـثـورة الاتـصـال، وتـوسـع شبكة الإنترنت التي تربط العالم ببعضه البعض وجدت مثل هذه الدولة– الاشكالية نفسها عاجزة عن صد رياح الحرية التي تهز أركان العالم العتيقة الذي انشأته باسم الدين، بل إن نفوذها القديم علي محيطها الإقليمي والعالمي أخذ يتآكل.

وأخـذ يتكشف الأسـاس العائلي الـوراثـي الفاسد للحكم المفروض علي الشعب، وتتعرى شرعيته لا فحسب أمام العالم وإنما أيضا أمام شعبه الـذي أخـذ يتململ. وسوف يصيب هذا الواقع الجديد بالعدوى كل البلدان المحيطة التي استند ظهر الفساد والتسلط والقمع فيها إلي بعض مما يجري في المملكة العربية السعودية باعتبارها أرض الإسلام، وسعت عائلات إلي استلهام النموذج لتوريث الأبـنـاء والأشـقـاء اعتمادا على ما هو قائم هناك ليضاف ذلك كله لتراث القمع والاستبداد والفساد.

لكن سوف يبقى أن ثـورة الاتصال ووعـي الشعوب وصبرها تفتح الباب الذي يستحيل إغلاقه أصوات الحرية.. فتصرخ بالحق في مواجهة القوة علي حد تعبير ادوارد سعيد.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.

ideas@almadapaper.net